

صلى الثورة الجزائرية على استقلال الشعوب الإفريقية.

[1975-1954]

بن قدور مليكة - طالبة دكتوراه -

تحت إشراف: أ.د. ولد النبية كريم

قسم العلوم الإنسانية جامعة الجيلالي ليايس

سيدي بلعباس - الجزائر

Abstract :

the first November revolution Played a great role,for liberation of Africa, and in return she was given support in solidarity and sympathy between African peoples and States, is the solidarity of various political, material and moral military, despite trying the French disdain and disrespect of the importance of the Algerian revolution only to limit impacts through solidarity and sympathy for unconditional and unrestricted with the African people, the results of these diplomatic efforts supported revolution in military operations for the Liberation Army against the French forces, the outbreak of many revolts against regulations Colonial, in conjunction with the fact that many colonial powers to grant African countries gained independence under pressure African libertarian movements as the Algerian revolution has guaranteed support for African countries in the United Nations and international forums, as well as coordination of African States its attitude in the United Nations demands the cessation of French nuclear testing in Algeria and France, notably spearheading the revolution in establishing military front on Nigerian financial limits, the front gave confirmation of the presence of the Algerian revolution in the far south of the desert, and the principle of solidarity and of African Unity devoted ground fronts fight The gunman and had an impact on the Algerian revolution.

مقدمة:

كان للفرنسيين النصيب الأكبر من استعمار القارة الإفريقية، وبدرجة خاصة في شمالها، وسطها وغربها. إفريقيا، فقد أتاح لهم اتجاه نشاط الانجليز إلى شرق القارة وجنوبها الفرصة لتثبيت أقدامهم في عدة مناطق. ومن جهة أخرى، حظيت الثورة الجزائرية بمساندة مميزة من القارة الإفريقية، حيث كان لصداها أثراً بالغاً على تراجع الاستعمار الفرنسي الغربي ووسط إفريقيا. لقد لقيت القضية الجزائرية تضامناً وتعاطفاً واسعاً بين الشعوب الإفريقية والدول المستقلة، وهذا تضامن شمل مختلف المجالات السياسية والعسكرية المادية والمعنوية، وكان له بالغ الأثر على دعم الثورة الجزائرية. وعليه نحاول في هذا المقال طرح مشكلة بحث لها علاقة وثيقة بهذه التطورات التاريخية. هل كان للثورة الجزائرية تأثير على تطور الأحداث التاريخية والتعجيل باستقلال الدول الإفريقية و بدرجة خاصة الشعوب الإفريقية التي كانت خاضعة للسيطرة الاستعمارية الفرنسية ؟

نحاول الإجابة على هذا التساؤل من خلال طريقتين اثنتين، الأولى تتعلق بالمنهج التاريخي، هدفنا التحقق من الماضي التاريخي ووصف هذا الماضي باعتباره من أهم حلقات الثورة الجزائرية ونقصد طبعاً صدى الثورة الجزائرية في القارة الإفريقية، ذلك أن استقلال الدول الإفريقية لم يأتي صدفة بل جاء نتيجة للثورة التحريرية الجزائرية. كما أن استقلال بعض الدول الإفريقية كأفغولا، الموزنيق.... تحقق بعد عشرة و خمسة عشر من تاريخ استقلال الجزائر، بل هناك قضايا كانت لا زالت حديث الساعة، كإلغاء التمييز العنصري من جنوب إفريقيا وحاليا قضية حق تقرير مصير الشعب الصحراوي. وعليه من الناحية المنهجية بحثنا لا ينتهي في 1962. يمكن اعتبار محاولتنا لتجاوز صدى حرب التحرير الجزائرية هذه أول محاولة

في الكتابة التاريخية المعاصرة من هذا النوع. أما الثانية، فإن لها علاقة بالوثائق التاريخية الجديدة حيث جمعنا مجموعة من المصادر والمراجع سوف نوظفها في هذا البحث.

أولا: بيان أول نوفمبر وطرح القضية الإفريقية.

على الرغم من ظروف أزمة انقسام الحركة الوطنية وقلة الإمكانيات كان تصميم اللجنة الثورية للوحدة والعمل على تفجير الثورة كبيرا، وكان اقتناع رجالها الثوريون حازما بضرورة وضع حد للمماطلات⁽¹⁾ والمأزق الذي دخلته الحركة الوطنية، ويقتضي تصور الثورة كما خطة القادة التاريخيون أن يفور لها الدعم ويعاد تنظيمها بعد انطلاقها، أما الأهداف المعلنة فهي ثابتة ومستمدة من أيديولوجية حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية وتستجيب رغبات جميع الجزائريين، وهي تتحدد أساسا في استرجاع السيادة الوطنية عن طريق الكفاح المسلح، وإقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية وكذا احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني⁽²⁾. لقد حاول الفرنسيون اثر اندلاع ثورتنا في نوفمبر 1954 إن يقابلوها بشيء من الاستخفاف والاحتقار تضامنا وتعاطفا واسعا بين الشعوب الإفريقية والدول المستقلة، وهو تضامن شمل مختلف المجالات السياسية والعسكرية المادية والمعنوية، وكان له ابلغ الأثر على دعم الثورة الجزائرية، وزعموا أنها مغامرة بسيطة أقدم عليها ثلة من قطاع الطرق والفارين من السجون. ولما شاهدوا تفاقم هذه الثورة واتساع رقعتها، اتجهوا بتأويلاتهم إلى الحالة الاجتماعية والاقتصادية التي كانت عليها الجزائر، محاولة إقناع الخارج، خاصة الرأي العام في مستعمراتهم الإفريقية الأخرى، بأن الثورة الجزائرية ليست لها أسباب سياسية، وبأنها خالية من الفكرة الوطنية. وهذا

ما يبرهن لنا على أن أكثر ما تخشاه فرنسا، هو تسرب العدوى الثورية، إلى مواطن أخرى من القارة الإفريقية.

لقد وازنت جبهة التحرير الوطني لتحقيق أهدافها بين العمل الداخلي والعمل الخارجي، وحددت شروطها لحل المشكلة الجزائرية المتمثلة في الاعتراف بالجنسية الجزائرية رسمياً، وفتح مفاوضات مع ممثلي الشعب الحقيقيين وبعث جو الثقة بإطلاق جميع المعتقلين ورفع الإجراءات الخاصة، وفي المقابل أكدت أنها تضمن المصالح الفرنسية وتمنح الفرنسيين حق الإقامة الجنسية الجزائرية، وتضبط العلاقات بين فرنسا والجزائر بالتفاهم على أساس المساواة والاحترام المتبادل. وأكدت الثورة الجزائرية بما يحدث في الجارتين تونس والمغرب "إن أحداث المغرب وتونس لها دلالتها في هذا الصدد فهي تمثل بعمق مراحل الكفاح التحرري في شمال إفريقيا ومما يلاحظ في الميدان إننا منذ مدة طويلة أول الداعين إلى الوحدة في العمل". وكان أمل جبهة التحرير الوطني أن تكون المعركة في هذه الأقطار الثلاثة موحدة وتأسفت لانفراد كل قطر بمعركته، وأعلنت أن من بين أهدافها الرئيسية في سياستها الخارجية مبدأ (تحقيق وحدة شمال إفريقيا) في إطارها الطبيعي العربي الإسلامي وقد جاء التأكيد على البعد في الميثاق الرئيسية للثورة ولم يكن في المشروع المغاربي مجرد شعار رفعته الثورة الجزائرية بل اجتهدت في تجسيده ميدانياً باعتباره خياراً استراتيجياً والتقليل من ممارسة جبهة التحرير الوطني لمبدأ الوحدة المغاربية في الكفاح منذ انطلاقة ثورة نوفمبر 1954.

"إن جبهة التحرير الوطني، لكي تحقق هدفها يجب عليها أن تنجز مهمتين أساسيتين في وقت واحد وهما: العمل الداخلي سواء في الميدان السياسي أو في ميدان العمل الحزبي و

العمل في الخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعة في العالم كله، وذلك بمساندة كل حلفائنا الطبيعيين...". (3)

لقد حضرت جبهة التحرير الوطني مؤتمر باندونغ في افريل 1955 باندونيسيا ومثل الجزائر كل من أحمد يزيد وحسين ايت احمد حيث اصدر المؤتمر قرار ينص على حق الشعب الجزائري والمغربي والتونسي في تقرير المصير والاستقلال، وتبعاً للقضية الجزائرية في المحافل الدولية، تقدمت مجموعة من الدول الإفريقية والآسيوية في صيف 1955 بمذكرة إلى الأمين العام للأمم المتحدة طلبت فيها تسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة العاشرة للجمعية العامة(4).

أما في الجانب العربي قال المحاضر أن جامعة الدول العربية اعتبرت القضية الجزائرية قضيتها الأساسية والجزئية ولها يعود الفضل في تدويل القضية الجزائرية ودعم الدبلوماسية الجزائرية في تحقيق الانتصارات السياسية المتتالية. (5)

ثانياً: إغراءات السلطة الاستعمارية للأفارقة منذ اندلاع الثورة الجزائرية.

لم تكد فرنسا تنتهي من حرها الاستعمارية بالهند الصينية، إثر هزيمة (ديان بيان فو) حتى أخذ ساستها يكررون يومياً بأن خسارة الهند الصينية لا نجر عليهم إلا التراجع في مستعمراتهم الآسيوية، و أما المستعمرات الإفريقية التي تكون أضخم قسط من الإمبراطورية الفرنسية فإنها باقية على حالها، و لن تتأثر أبداً بما يجري في آسيا من التقهقر، في المواقع الإستراتيجية و السياسية، إلا أن الفرنسيين الذين اشتهروا عند الجميع ببعدهم عن الواقع، كانوا بلا شك يجهلون ما تحضره لهم الجزائر من ويلات أخرى لا تقل هولاً عما جنته فرنسا في حرب الهند الصينية. وهكذا فإن الذي يبحث عن أسباب انحلال الإمبراطورية الفرنسية، بعد

الحرب العالمية الثانية، لا بد أن ينتهي إلى هذه النتيجة و هي انه إذا كانت حرب الهند الصينية هي مفتاح خروج فرنسا من القارة الآسيوية، فإن حرب الجزائر هي مفتاح اندحارها في القارة الإفريقية⁽⁶⁾.

قد بذلت دبلوماسية الثورة جهودا كبيرة من أجل جر الدول الإفريقية إلى المعركة إلى جانبها و هذا ما أشار إليه الرئيس الغاني كوام نكروما في عام 1958 حين ربط القارة الإفريقية بالقضية الجزائرية.

1- ارتباط الكفاح الإفريقي بالحرب في الجزائر.

وجد الاستعمار الفرنسي نفسه مشلولا عن التحرك في أي مكان آخر لان قوته كلها مجمدة في الجزائر وأصبح مضطرا إلى أحد أمرين في بقية مستعمراته بإفريقيا فإما يعضى في تنازلاته أمام الحركة الوطنية بدون توقف وأن يستجيب لكل مطالبها مهما كانت عسيرة مؤملة بالنسبة إليه و إما أن يواجه ثورات جديدة لا قبل له بمواجهتها لان كل ما يستطيع حشده وتجنيد من أموال ورجال وسلاح قد ألقى بثقله في الجزائر دون جدوى. ولتتصور القارئ ثورات مسلحة ضد الاستعمار الفرنسي في (غينيا والسودان وموريتانيا والسنغال والداومي وساحل العاج والنيجر والتشاد واليابون والكونغو وإفريقيا الوسطى ومدغشقر وغيرها) من المستعمرات الفرنسية في الوقت الذي توجد كل طائرات فرنسا ودباباتها ومدافعها وجنودها في الجزائر⁽⁷⁾.

لقد عجز مليون جندي فرنسي عن مواجهة الثورة الجزائرية فكّم من مليون جندي فرنسي يجب تجنيدهم لمواجهة الثورة المسلحة في هذه البلاد الشاسعة التي تمتد على ملايين

الكيلومترات، ثم كم يلزم لهؤلاء الجنود من طائرات ودبابات ومدافع وكل ما تملكه فرنسا منها محصور في الجزائر لو تركها لحظة واحدة لكان معنى ذلك نهاية الاستعمار الفرنسي فيها. هكذا فإن فرنسا بعد أن سجلت إخفاقها في استعمال الجنود السود ضد المجاهدين الجزائريين اضطرت إلى الاعتراف بخيبة أخرى لا تقل مرارة عن الثانية.

لقد كانت فرنسا تعتقد أن (القانون الإطاري)⁽⁸⁾ سوف يريحها من مطالبة شعوب إفريقيا ومدغشقر بالاستقلال التام، كما أنها تعتقد أنها سوف تجد في زعماء الأفارقة أحسن محامين على سياستها (التحريرية) في المستعمرات الإفريقية و لكن أهواءها لم توافق مرة أخرى ما يخبئه لها الواقع المؤلم كما أن الحسابات التي أقامتها لم تصادف نوايا الأفارقة و عزمهم الصارم على التحرر من الاستعمار الفرنسي تحررا تاما فكانت الصدمة خطيرة جدا حتى على أولئك الذين كانوا يساندون سياسة قانون الإطاري.

2- المؤتمرات الإفريقية و ارتباطها بالثورة الجزائرية.

بتأثير الحرب التحريرية في الجزائر، انتشر الوعي السياسي في القارة الإفريقية و حينها بدأ مسلسل انعقاد المؤتمرات السياسية المختلفة من اجل القضايا التحررية. و عند ذلك يمكن القول أن القضية الجزائرية أصبحت قضية إفريقية. ومن المؤتمرات هذه نذكر المؤتمرات الإفريقية التالية:

- مؤتمر القاهرة 1957.
- مؤتمر الشعوب الإفريقية آكرا 1958.
- مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة مونروfia أوت 1959.
- مؤتمر الدول الأفريقية المستقلة الثاني، أديس أبابا عام 1960.
- مؤتمر جميع شعوب إفريقيا الثاني 20 إلى 30 يناير 1960 .

— مؤتمر الدار البيضاء من 03 - 07 يناير 1961.

— مؤتمر منروfia من 08 - 12 ماي 1961.

3- الخيار الفرنسي في التخلص من مستعمراته الإفريقية.

خرجت فرنسا من المؤتمر الذي عقده في شكل حزب التجمع الديمقراطي الإفريقي في مدينة باماكو ، معتقدة و أشد الاعتقاد بأن المناورات التي قامت بها طيلة ثلاث سنوات للتفريق بين الجزائر و الشعوب الإفريقية المستعمرة الأخرى لم تأت إلا بعكس ما كانت ترمي إليه، كما أنها تعتقد بأن القانون الإطاري المعلن لم يخلصها من المطلب الأساسي وهو الاستقلال التام الذي لا يعقل أن يتنازل عليه أي شعب من شعوب الدنيا و من هذا المؤتمر تأكدت فرنسا، إن حرب الجزائر لا بد أن تجر عليها انفكاك إمبراطوريتها، و أن تقضى على ما تبقى لها من حرب الهدد الصينية⁽⁹⁾.

واندهشت الأوساط الاستعمارية الفرنسية التي كانت تظن أن (قانون الإطاري) سيكون بمثابة الحذر الذي ينوم الأفارقة ويجعل الحكومة الفرنسية في راحة تامة من هذه الناحية حتى تتمكن من مواصلة قمعها و حربها بالجزائر بكل هدوء. وبلغ ضغط الأفارقة على أحزابهم درجة جعلت هؤلاء يصرحون أن (القانون الإطاري) فات أوانه وانه يجب القيام بشيء جديد واعترف المسؤولون الفرنسيون أنفسهم بأن (القانون الإطاري) يشتمل على بعض الأخطاء⁽¹⁰⁾.

إن المسؤولين الفرنسيين تيقنوا أن محاولتهم الرامية إلى تقسيم الأفارقة وابتلاعهم على انفراد قد فشلت. وبالفعل فقد اجتمع 63 نائبا من نواب الأحزاب السياسية في إفريقيا الغربية والاستوائية في باريس من 15 إلى 18 فيفري 1958 ووقفوا بالإجماع على لائحة تطالب

بإنهاء الحرب في الجزائر. ومن بين من حضروا هذا الاجتماع هو **فواي ديواني** رئيس التجمع الديمقراطي الإفريقي ووزير الصحة في حكومة **غايار**. وقد خط هذا الاجتماع طريق الوحدة الإفريقية. ولئن لم يتخذ قرارا نهائيا بشأن التوحيد فقد اتفقت كلمة الجميع على ضرورته كما كان يؤكد على ذلك **ليوبولد سانغور** و **مهما** يكن من شيء فإن ضغط سكان إفريقيا السوداء و إفريقيا الغربية بلغ درجة من العمق والقوة جعلت حتى الذين اشتبهوا يتعاونهم مع الاستعمار الفرنسي يتكلمون لغة أخرى فهذا **موييد وكتا** وزير الدولة في حكومة **غايار** ونائب **باماكو** يصرح أمام وزير ما وراء البحار قائلا: «إن فرنسا تتردد و الوقت يمضي و الأحداث تمر بسرعة بينما تجمد بمضي الذهنيات الفرنسية على قوالها القديمة. ولهذا أكدوا أن فرنسا إذا سدت في وجهنا طريق المجموعة الإفريقية الفرنسية، فإن إفريقيا ستضطر إلى أن تسلك الطريق الوحيد الذي بقي مفتوحا أمامها وهو الطريق الاستقلال الكامل» (11).

لقد أدرك الاستعمار الفرنسي هذه الحقيقة الساطعة واستخلص منها النتائج التي فرضت عليه أن يتحلى بالتدرج عن مستعمراته في إفريقيا لأنه لم يبق أمامه أي حل آخر و هذه الحقيقة هي التي تلقي الضوء الكامل على الأسباب الحقيقة لتطور سياسة الاستعمار الفرنسي في إفريقيا من عهد (القانون الإطاري) في سنة 1957 إلى منح هذه الأقطار استقلالها الداخلي في إطار المجموعة المقيدة في سنة 1958 إلى منحها سيادتها الوطنية و الدولية و استقلالها السياسي في سنة 1960. وبعبارة أخرى فإن الاستعمار الفرنسي لكي يتجنب هزيمة عسكرية ما حقه وسريعة في الجزائر قد اضطر إلى التخلي عن كامل إمبراطوريته الإفريقية السابقة، وبإهيار الإمبراطورية الفرنسية فتحت أكبر ثغرة في النظام الاستعماري العالمي الذي تصدع ركنه الرئيسي وبدا بلفظ أنفاسه الأخيرة. وكانت فرنسا تظن وتتصور أن التخلص من مشاكل

مستعمراتها الأخرى في إفريقيا يتيح لها الفرصة والقوة، لكي تطعن ثورة الجزائر وتقضي عليها وعلى خطرهما، وجاءت الفائدة مزدوجة، فتحررت إفريقيا كلها من رجس الاستعمار الفرنسي والبريطاني والبلجيكي، وتحررت والجزائر بعدها، وكانت خير رائد لقافلة التحرر الإفريقية⁽¹²⁾.

قامت الجزائر بفضح هذه المناورة، و أمام هذا التضامن الإفريقي⁽¹³⁾ اضطرت أن تعترف باستقلال عدد كبير من المستعمرات للانفراد والتفرغ للثورة الجزائرية. فنالت عام 1960 مجموع 14 دولة استقلالها وهي: - الكامرون 01 جانفي 1960، مدغشقر 24 جوان 1960، الزاير 30 جوان 1960، الصومال 04 جويلية 1960، البنين 01 أوت 1960، النيجر 03 أوت 1960، إفريقيا الوسطى 03 أوت 1960، كوت ديفوار 07 أوت 1960، الكونغو 15 أوت 1960، فولتا العليا 15 أوت 1960، الغابون 17 أوت 1960، السنغال 20 أوت 1960، تشاد 11 أوت 1960، موريتانيا 28 نوفمبر 1960.

ثالثا: دور فرانس فانون في نشر اليقظة الإفريقية للتخلص من الاستعمار والتمييز العنصري.

يرى الفيلسوف فرانس فانون أن الثورة هدمت جميع الخرافات والأضاليل الاستعمارية التي كانت بالأمس تعتبر حقائق لا تقبل الجدل، ذلك بفضل طابعها الإنساني العميق وتعلقها الشديد بالحرية. والثورة الجزائرية إذ تقرر تحرير التراب الوطني، ترمي في نفس الوقت إلى القضاء قضاء مبرما على مجموع هذا الاستعماري، لتحل محله نظاما إنسانيا ومتجمعا جديدا. ولذلك سيكون تحرير الجزائر هزيمة للعنصرية، ولإستغلال الإنسان للإنسان، وسيكون بداية لعهد تسوده العدالة الاجتماعية⁽¹⁴⁾.

فالتاريخ الذي دونه المستعمر بتاريخ دولة الحق الذي اقتلع ولكن تاريخ أمته ما تعانیه من اغتصاب وجوع (15)، التشبث بالعالم التقليدي الثابت تحت تأثير الاقتلاع الاستعماري الاستعماري نصل إلى رفض عام للحضارة الاستعمارية لمجهود التقني (16).

أن محو الاستعمار هو حدث عنيف ويضيف " إن محو الاستعمار، وهو يستهدف تغيير نظام أنما هو برنامج لقلب النظام قلبا مطلقا، وهذا التغيير يجب أن يتسلح بالوعي والإدراك ولا يمكن أن يصبح واضحا لنفسه، إلا بمقدار أدراك الحركة الصانعة التاريخ التي تهب له شكله ومضمونه ".

يؤكد قانون إن العنف الذي يعمد إليه المستعمر (بالكسرة) يوحد الشعب، والواقع ان الاستعمار بحكم تحكم تركيبه يفرق صفوف الشعب ويغذي النزعات الإقليمية، أن النظام الاستعماري يغذي الزعامات المحلية وينشط الانقسامات الدينية، ولكن العنف يوحد بين الأفراد على الصعيد القومي، وهو لذلك يحمل في أرحامه بذور القضاء على الإقليمية و العشائرية. وهكذا فان العنف الثوري عند فرانز فانون دائما يكتسي طابعا ايجابيا، وقد استقى ذلك من واقع ومعطيات الثورة الجزائرية، بالتالي فإن فكره ليس مثل فكر بعض المفكرين الذين تقوم نظرياتهم على فرضيات وهمية بل إن الواقع الجزائر الثائرة هو الذي أملى عليه تلك الأفكار الصادقة والصحيحة (17).

لقد أصبحنا نعرف الآن الاستعمار في مرحلة الأولى من مراحل الكفاح الوطني يحاول أن يشل المطبخ القومي بإسباغ طابع اقتصادي عليه، فتراه منذ بزوغ المطالب الأولى بتظاهر بالفهم و يعترف في تواضع مسرحي بأن البلاد تشكو من تخلف خطير يجب بذل جهد اقتصادي واجتماعي كبير. حتى ليحدث في الواقع أن يتحد الاستعمار بعض الإجراءات

الخداعة، كفتح ورشات لتشغيل العاطلين هنا هناك، فإذا بهذه الإجراءات تؤخر تبلور الوعي القومي بضع سنين، ولكن يدرك عاجلا أو آجلا أنه ليس في وسعه أن يحقق إصلاحات اقتصادية اجتماعية يمكن أن ترضي مطامح الجماهير المستعمرة (18).

رابعا : موقف الزعماء الأفارقة من الاستعمار.

يعتبر أحمد سيكوتوري قائد وطني الغيني الذي عرف بمواقفه الثابتة ضد الاستعمار و هيمنة القوى الرأسمالية ليس سيكوتوري كان أحد القادة البارزين والقياديين المناوئين للاستعمار والمطالبين باستقلال وتحرير الشعوب دون قيد أو شرط ومناصر لكل الوسائل التي تضمن ذلك بما فيها العمل المسلح: "إننا نريد أن نؤكد بكل قوة تضامننا المطلق مع الشعب الجزائري ومثليه الحقيقيين لأن الجزائر أرض إفريقية و الحرب الغاشمة على شعبها تمس مجموع الشعوب الإفريقية الواعية للعواقب الوخيمة التي يجريها استبعاد شعب بواسطة قوة وقوانين دولة أجنبية. ولم يتوقف الرئيس أحمد سيكوتوري، في تأييده المطلق للثورة الجزائرية على العلاقات الثنائية بين بلدين الجزائر وغينيا، بل حمل كل دولة أو حكومة مسؤولية إجرامية في حالة التردد أو التحفظ من مساندة الثورة الجزائرية، فقد ظل يؤكد: «...فنحن مصممون تصميمنا راسخا على تقديم مساعدتنا غير المشروطة للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية من أجل استقرار السلم في الجزائر حسب الشروط والضمانات التي حددتها الجزائر...ونحن نعلن بصفة واضحة أن موقف الحكومة الفرنسية نحو الرغبات الشرعية للشعب الجزائري سيحدد بشكل أقوى وأوضح موقف الشعب الغيني وحكومة الفرنسية...». ثم اضاف : « إن كل حكومة لا تهتم بقضية الشعب الجزائري في استقلاله إنما تشارك الاستعمار في جرائمه، وإن أية حكومة تعلن أنها غير مسؤولة على تأييد الاستعمار ومناصرة الظلم و العدوان » (19).

تميزت العلاقات الجزائرية - الكونغولية أثناء حرب التحرير الجزائرية بالنضال المشترك الذي تزامنت فيه، في نهاية الخمسينات، معركتنا الشعبين الجزائري والكونغولي ضد الاستعمار، و بالرفض المطلق لأي مهادنة أو تفاوض مشروط مع الاستعمار من أجل استقلال البلدين. تزعم هذه القناعة والتوجه السيد باتريس لومومبا. هذا الأخير الذي أصبح على رأس الحكومة الكونغولية بعد الاستقلال رغم وجود أعداء من الداخل (عملاء الاستعمار البلجيكي) التي شكلت عليه حصارا سياسيا واقتصاديا وعسكريا وفي النهاية تصفية جسديا (1961) بتنفيذ عناصر من الداخل.

أثناء إدارته للحكومة الكونغولية اتخذ السيد لومومبا مواقف جد هادفة وقوية بجانب حرب التحرير الجزائرية والإفريقية بصفة عامة ولو على حساب وجوده على رأس الحكومة الكونغولية. ذلك ما تضمنه مثلا تأكيدات السيد لومومبا إلى السيد فرحات عباس رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة، أثناء لقائه بهذا الأخيرة 13 أوت 1960: «... إن المشكلة الجزائري بالنسبة لنا هو مشكل القارة الإفريقية بأكملها، إن إفريقيا لا تحمل أي حقد للرجل الأبيض وإنما تطالب بحقوقها في الكرامة والحرية مثل جميع بلدان العالم. إنه لا وجود لجزائر فرنسية في نظرنا إنما هناك جزائر وكفى، وهذه الجزائر توجد في القارة الإفريقية. على الغرب اليوم أن يختار: إما أن يقبل بتحرير إفريقيا بأكملها يعيش معها في ظل الصداقة، وإما يرفض صداقة إفريقيا.. » (20).

غانا بقيادة كوام نكرومة، من بين الدول الإفريقية المستقلة القليلة التي اتخذت مواقف تعكس توجه دولة تقدمية مناهضة لكل أنواع الاستعمار وغير متحفظة تجاه أية وسيلة تؤدي إلى الاستقلال والتحرر بما فيها العمل المسلح. أفرزت المعاناة الخاصة للشعب الغاني من

الاستعمار والحركة الوطنية الغانية قيادة و حكومة مؤيدة، بدون تحفظ، لكل أهداف ومطالب حركات التحرر الوطنية في إفريقيا والعالم ككل مظاهرات وتجمعات دورية كانت تنظم بغانا تأييدا و تضامنا مع القضية الجزائرية.

الرئيس الغاني **كوام نكرومة** أكد دوريا انسجام مواقف حكومته مع الشعب الغاني مبرزا قناعاته وتأكيداته من حتمية الانتصار الجزائري على فرنسا. في خطابه أمام الدورة الخامسة عشر للجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة أكتوبر 1960 كرر الرئيس **نكرومة** وأكد موقف بلاده والممثل في: "إن فرنسا لا تستطيع عسكريا، والطريق الوحيد للخروج بفرنسا من هذا المأزق هو طريق التفاوض" (21). مثل غينيا الانتماء الديني و المعاناة المشتركة من استعمار واحد فرنسا، الجوار الجغرافي (الحدود المالية الجزائرية كانت ممر هام لعبور الأسلحة عبر الجنوب الجزائري لتدعيم حرب التحرير الجزائرية)، مدعمة بالتوجه التحرري للحركة الوطنية المالية بقيادة **موديو كاتيا** كلها عوامل أساسية في الدفع بموقف مالي تحالف مع حرب التحرير الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي رغم محاولة هذا الأخير مع بعض دول الساحل الإفريقي خاصة السنغال لخلق حزام لمحاورة المد التحرري في الساحل الإفريقي و وطنين المناوئين للجزائر. و أكثر كلها كانت عوامل أساسية في الدفع بموقف مالي تحالفا مع حرب التحرير الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي رغم محاولة هذا الأخير مع بعض دول الساحل الإفريقي خاصة السنغال لخلق حزام لمحاورة المد التحرري في الساحل الإفريقي و الجزائر. أكثر من ذلك، أن موقف الحكومة المالية بقيادة **موديو كاتيا**، المساند بدون تحفظ للثورة الجزائرية، كان السبب الأساسي لانسحاب مالي من الاتحاد مع السنغال. اتخذ هذا الأخير بقيادة **سنغور** مواقف معاكسة لحكومة مالي و موالية إلى فرنسا بما فيها. مشاركة فيالق من جيش السنغال

ضمن الجيش الفرنسي لقمع جيش التحرير الجزائري. ممثل مالي في الأمم المتحدة بأيام معدودة 20 سبتمبر 1960 أكد: « إن موقفنا من القضية الجزائرية كان عاملا مباشرا في انقسام مالي إننا نؤيد استقلال الجزائر هذا الموقف هو موقف جميع الدول الإفريقية... إن حرب الجزائر وحدها سببا كافيا لحمل الدول الإفريقية على قطع علاقاتها مع فرنسا، إذ أن فرنسا تقود في الجزائر حرب إبادة... » (22). أما بالنسبة إلى مالي هدف و نموذج الثورة الجزائرية لم يكن فقط لتحرير الجزائر بل لتحرير إفريقيا ككل لأن: «... تضحيات الوطنيين الجزائريين بعد تضحيات الوطنيين في فيتنام هي السبب في تطور الموجة التحريرية التي تعد جميع الدول الإفريقية مدينة باستقلال... » (23).

خامساً: حرب التحرير في الجزائر و موجة استقلال الدول الإفريقية.

شهد العام 1960 حصول 17 دولة أفريقية من دول جنوب الصحراء على استقلالها. ومن بين هذه الدول السبع عشرة خضعت أربع عشرة منها للاستعمار الفرنسي. إن حصول هذا العدد الكبير من الدول الإفريقية على استقلالها في العام 1960 لم يكن وليد المصادفة بل جاء محصلة لعملية طويلة بدأت أحداثها ومجرياتها بنهاية الحرب العالمية الثانية؛ فبعد انتهاء الحرب وانتصار الحلفاء على ألمانيا النازية ودول المحور، قام زعماء الدول الأفريقية الطامحة إلى الاستقلال بالضغط على الدول المستعمرة مطالبة إياها الوفاء بالتزاماتها ووعودها التي سبق لها وأعلنتها خلال الحرب العالمية الثانية والمتمثلة في إعطاءها حق تقرير المصير عند نهاية الحرب خاصة وأن الدول الأفريقية قدمت الكثير من المساعدات للدول المستعمرة خلال الحرب مما مكنها من الانتصار على ألمانيا النازية وقد لعبت الولايات المتحدة دورا كبيرا في مساندة حقوق الدول الأفريقية للحصول على الاستقلال.

في عام 1944 كان الجنرال ديغول متواجدا في برازافيل عاصمة الكونغو، وخلال هذه الزيارة أدلى بتصريحات قال فيها بأنه حان الوقت لأن " تنتهج فرنسا طريقا آخر " بشأن مستعمراتها. بعد سنتين على هذه التصريحات ألغي اسم "الإمبراطورية الاستعمارية" واستبدل باسم "الاتحاد الفرنسي" ليتغير الاسم من جديد عندما أسست الجمهورية الخامسة في فرنسا في عام 1958 إلى "مجموعة الدول الفرنسية."

في نفس الوقت حصل كل من المغرب وتونس والسودان وغانا وغينيا على الاستقلال. أما الجزائر فقد اشتدت فيها الحرب بين الثوار والسلطات الفرنسية الأمر الذي أساء إلى اسم فرنسا على الساحة الدولية وأضعف من قدراتها الاقتصادية .

كانت الكامبيرون مستعمرة ألمانية ثم تقاسمتها فرنسا وبريطانيا عام 1918 بعد قرار من عصبة الأمم. حصلت الكامبيرون على استقلالها بعد كفاح مسلح قامت به الحركات الوطنية في هذا البلد. وقامت الأمم المتحدة برفع الانتداب الفرنسي عن الكامبيرون سنة 1960 قبل حصول القسم الفرنسي منه على الاستقلال عام 1960. في العام التالي انضم القسم الجنوبي، الذي كان تحت السيطرة البريطانية، نهائيا إلى جمهورية الكامبيرون ثم انتخب أحمد أهيدجو أول رئيس لجمهورية الكامبيرون (24) في الخامس من مايو/ أيار عام 1960.

كانت توغو مستعمرة ألمانية سابقة ثم خضعت للحماية الفرنسية والبريطانية. بحلول نهاية الحرب العالمية الأولى أصبح قسمها الفرنسي تابعا لما سمي في ذلك الوقت بالاتحاد الفرنسي الذي أسس عام 1946. بعد الاستفتاء الذي أجري عام 1956 أصبحت توغو جمهورية ذات حكم ذاتي. في شهر فبراير/ شباط من العام 1958 فازت الحركة الوطنية في توغو بقيادة "اللجنة من أجل وحدة توغو" بالانتخابات التشريعية. فتح هذا الفوز الطريق نحو الاستقلال

وانتخب سيلفانوس أولمبيو أول رئيس للجمهورية في البلاد، ولكنه اغتيل سنة 1963 إثر انقلاب عسكري.

أصبحت مدغشقر " الجزيرة الكبرى " جزءا من إقليم "ما وراء البحار" التابع لفرنسا في عام 1946 ثم أصبحت جمهورية في عام 1958 في نطاق ما عرف باسم الاتحاد الفرنسي. وبعد حصوله على صلاحيات خاصة في الحكم في شهر يناير/ كانون الثاني 1960، استطاع الرئيس فيليب تسييرانانا إقناع الجنرال ديغول بمنح مدغشقر استقلالها وأصبح هو بهذه المناسبة أول رئيس لجمهورية مدغشقر (25).

اندلعت في الكونغو مظاهرات عنيفة وأعمال شغب في مدينة ليوبولدفيل كينشاسا حاليا عاصمة الكونغو. كان يقف وراء هذه المظاهرات الزعيم الوطني باتريس لومبا الذي اغتيل في ظروف غامضة في يناير عام 1961. بعد هذه الأحداث قامت السلطات البلجيكية بعقد اجتماع مع القادة الوطنيين في العاصمة البلجيكية بروكسل تحسبا لما يمكن أن يحدث ومقارنة أيضا مع الوضع في الجزائر التي كانت تجري فيها حرب بين فرنسا والحركة الوطنية الجزائرية التي كانت تطالب بالاستقلال. قررت بلجيكا بعد هذا الاجتماع الانسحاب من الكونغو و منحها الاستقلال في 30 يونيو/ حزيران عام 1960. تغير اسم الكونغو بعدها ليصبح جمهورية الكونغو الديمقراطية ثم تغير من جديد ليصبح "زائير" عند وصول الجنرال موبوتو سيسيسيكو إلى الحكم بعد انقلاب عسكري قام به في نوفمبر عام 1965 .

أما الصومال فكانت مستعمرة إيطالية حتى عام 1941. وحسب شطرا الصومال الجنوبي والشمالي عام 1960 تحت اسم جمهورية الصومال الديمقراطية. كان هدف السلطات بعد الاستقلال إعادة إنشاء "الصومال الكبرى" التي كانت تشمل كينيا وأثيوبيا وجيبوتي

وكانت هذه الأخيرة تحت الحكم الفرنسي(26). وبعد استفتاء 28 سبتمبر/ أيلول 1958 والذي فتح الطريق لحصول داهومي على الاستقلال في أول أغسطس/آب عام 1960، أصبح هوبرت ماغا أول رئيس لجمهورية داهومي في 26 يوليو/تموز 1960. تغير اسم داهومي ليصبح بنين عام 1975. يعيش هذا البلد منذ استقلاله حياة سياسية مضطربة.

بعد استفتاء عام 1958 الذي منح الحكم الذاتي للبلاد أعلنت الجمهورية في النيجر في 18 ديسمبر/ كانون الأول من نفس العام. حصلت النيجر على استقلالها رسميا في 3 أغسطس/آب عام 1960. وصل بعدها هامي ديوري إلى الحكم وأصبح أول رئيس للجمهورية ثم أطيح به بعد انقلاب عسكري عام 1974.

كانت بور كينا فاسو (فولتا العليا سابقا) تحت الحماية الفرنسية. أعلن عن تأسيس الجمهورية فيها يوم 11 ديسمبر/ كانون الأول عام 1958 في نطاق ما عرف بالاتحاد الفرنسي قبل أن تنال استقلالها في 5 أغسطس/آب عام 1960. تغير اسم هذا البلد عام 1984 في عهد الرئيس توماس سانكرا الذي وقع اغتياله بعد انقلاب عسكري في عام 1987 ليصبح بور كينا فاسو. وبعد استفتاء عام 1958 أصبحت ساحل العاج جمهورية ذات حكم ذاتي. في يونيو/حزيران من عام 1960 أعلن هوفوييه بوانييه الموالي لفرنسا استقلال ساحل العاج. استطاع هوفوييه بوانييه المحافظة على علاقات متينة مع فرنسا بعد الاستقلال وأصبح ساحل العاج في عهده أكثر البلدان الأفريقية ازدهارا. منذ عام 1999 يعيش ساحل العاج حياة سياسة مضطربة أدت إلى نشوب حرب أهلية بين الجنوب والشمال تدخلت على إثرها فرنسا والأمم المتحدة.

وقد حصلت تشاد على استقلالها في 11 أغسطس /آب عام 1960 بعد سنتين من إعلان الجمهورية فيها. أصبح فرنسوا توم بلباي رئيس الوزراء آنذاك أول رئيس لجمهورية تشاد. بعد فترة وجيزة من الاستقلال اندلعت حرب أهلية بين الشمال المسلم والجنوب ذي الأغلبية المسيحية.

كانت أفريقيا الوسطى خاضعة للاستعمار الفرنسي منذ عام 1905 وكانت تعرف باسم أوبانغي — شاري. أصبحت تعرف باسم جمهورية أفريقيا الوسطى منذ أول ديسمبر/كانون الأول عام 1958. حصلت على استقلالها في 13 أغسطس/آب عام 1960 أصبح دافيد داکو رئيسا للدولة. كانت له قرابة عائلية بالزعيم الوطني برتيليمي بونغندا الذي كان يناضل من اجل الوحدة الأفريقية وتحرير شعوبها من هيمنة الاستعمار الأوروبي. لقي حتفه في حادث طائرة حصل في 29 مارس/آذار عام 1959. لقد ولدت جمهوريتا السنغال ومالي من رحم ما كان يسمى بالاتحاد الفرنسي في 17 يناير/كانون الثاني 1957 والذي كان يضم السنغال والسودان الفرنسي سابقا. كان المشروع السياسي في هذه المنطقة هو توحيد البلدين لكن الاختلاف الكبير في الرأي بين ليوبولد سنغور رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء موديبو كيتا دفع بالسلطات في العاصمة داکار إلى الخروج من الاتحاد والإعلان عن استقلال السنغال في 20 أغسطس/آب وهكذا أعلنت باماكو بدورها استقلال مالي بعد شهر من ذلك التاريخ أي في 22 سبتمبر. ومنذ أن وضع دستور جديد يعرف باسم دستور ليتلتون في عام 1954 أصبحت نيجيريا محكومة بنظام فيدرالي يجمع ثلاث مقاطعات: الشمال والشرق والغرب. كان عدد السكان يناهز 34 مليون نسمة في ذلك الوقت وكانت نيجيريا تعتبر عملاق أفريقيا. منذ حصولها على الاستقلال عن الاستعمار البريطاني في أول أكتوبر عام 1960 ، واجهت

نيجيريا مشكلة الانقسامات العرقية والدينية مما أدى إلى حالة من عدم الاستقرار السياسي في هذا البلد .

أعلنت موريتانيا استقلالها في 28 نوفمبر عام 1960 رغم معارضة المغرب والجامعة العربية لهذا الإعلان لأهمها كانتا تعتبران أن موريتانيا هي جزء من المملكة المغربية. تواصل الخلاف بين المغرب وموريتانيا حتى عام 1969 حين تخلت الرباط عن مطالبها نحو جارتها الجنوبية. في عام 1961 تبنت موريتانيا دستوراً يعتمد النظام الجمهوري في الحكم. أصبح المختار ولد داداه أول رئيس للجمهورية الموريتانية بعد أن كان رئيساً للوزراء منذ عام 1958. بقي في الحكم إلى أن أطاح الجيش بنظامه في 1978.

خاتمة.

إن العلاقة التاريخية بين الجزائر وإفريقيا حقيقة ليست وليدة الكفاح التحرير بل تمتد جذورها التاريخية إلى أعماق التاريخ، باعتبار الجزائر جزء لا يتجزأ من إفريقيا وامتزاج شعبها مع الشعوب الإفريقية سياسياً وثقافياً واجتماعياً وتاريخياً، فموقع الجزائر كبوابة إفريقيا سهل المهمة الاستعمارية الفرنسية والأوروبي في السيطرة على القارة بأكملها .

لقد حاول الاستعمار كعاداته، طمس المقومات الشخصية للجزائر وإفريقيا معا وربطها بظاهرة التخلف ووصف شعبها والشعوب الإفريقية بالشعوب النائمة، محاولة بذلك فك الروابط الأصلية لهؤلاء السكان، فإن ذلك باء بالفشل والتاريخ يشهد أن أعرق الحضارات قامت في إفريقيا إن هذه الشعوب لديها إرثاً حضارياً زاخراً، عبر ممر العصور التاريخية لا يمكن تجاهله تحت أي ظرف كان.

ثم ان الجزائر كانت فعلا بوابة الاستعمار الأوروبي لإفريقيا ، بحكم أهمية موقع الجزائر بالنسبة للقارة الإفريقية عامة بالنسبة لفرنسا خاصة، التي توغلت من الجزائر نحو احتلال العديد من البلدان الإفريقية كبلدان المغرب العربي (تونس، المغرب الأقصى، موريتانيا) ثم بعض بلدان إفريقيا، فمصير هذه الشعوب مرتبط بمصير الجزائر ومرهونا بها سواء إيجابيا وسلبيا. فالاستعمار الفرنسي كان مرحلة سوداء بالنسبة للجزائر و إفريقيا في حين كانت الثورة الجزائرية مرحلة تحول نحو تحرر شعوب إفريقيا و الجزائر من الاستعمار الأوروبي.

إن دور ثورة نوفمبر الجزائرية في تحرير إفريقيا عظيم جدا. والتاريخ هو الذي سينصفها عندما يتقدم الزمن وتبعد الحوادث. لأن ثورة نوفمبر هي التي حطمت حقيقة الإمبراطورية الفرنسية ما وراء البحار، وكانت آخر حلقة في سلسلة الهزائم التي توالى على فرنسا طوال قرن ونصف قرن من الزمن. وهكذا تتحمل الثورة الجزائرية شرف هذه الرسالة التاريخية الكبرى رسالة تحرير القارة الإفريقية وتحطيم النظام الاستعماري العالمي ويكون شهداء الحرية في الجزائر هم الشهداء حرية إفريقيا وحرية الإنسانية جمعاء، إن هؤلاء الشهداء الذين يسقطون كل يوم في ميدان الشرف لم يكتبوا بدمائهم حرية واستقلال الجزائر، بل قارة إفريقيا كلها.

الهوامش و الاحالات:

1. عمر بوضربة: النشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سبتمبر 1958-جانفي 1960، دار الحكمة للنشر، 2012 ص ص 129-130.
2. بيان فاتح نوفمبر 1954، وزارة الإعلام والثقافة (الجزائر)، النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1979، ص ص 8 ، 9.
3. المصدر نفسه، ص ص 9 ، 10.
4. المجاهد: العدد 11، (فاتح نوفمبر 1957) ص 11.

5. المصدر نفسه.
6. نفسه.
7. المجاهد ، العدد 80 ، (01 نوفمبر 1960)، ص 4.
8. قانون الإطاري :هو دستور أصدرته فرنسا في سنة 1956 الهدف منه منح الحكم الذاتي لدول إفريقيا تحت سلطة الحاكم العام الفرنسي، وكان هذا القانون يرمي إلى تجزئة البلدان الإفريقية ويربطها بفرنسا اقتصاديا سياسيا لعزلها عما يجري في المغرب العربي.أنظر إلى المرجع محمد بلعباس: الوجيز في تاريخ الجزائر، دار المعاصرة، للنشر للتوزيع، 2009، ص 205.
9. مرجع سابق: العدد 11، فاتح نوفمبر 1957، ص 11.
10. يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب، الجزء الثاني، شركة دار الهدى للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص171.
11. المجاهد: العدد 22 ، (15 أفريل 1958)، ص 8.
12. المصدر نفسه، ص 08.
13. TILLON (Germaine) : L'Afrique bascule vers l'avenir. L'Algérie en 1957 et autres textes, Paris , 1961, 125p.
14. المجاهد: العدد 108 (13 نوفمبر 1961).
15. فرانتز فانون: من أجل إفريقيا، ترجمة محمد الميلي، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ص ص 47، 48.
16. RENATE (Zahar) : L'œuvre de Frantz Fanon, colonialisme, et aliénation dans l'œuvre de Frantz Fanon . Traduit de l'allemand par Roger Danger ville- Maspero, paris, 1970, p 50.
17. أحمد حمدي : «فرانتز فانون من الجماهير إلى الثقافة الوطنية»، مجلة الذاكرة، العدد الأول حريف 1994/1415.
18. فرانتز فانون: معذبون في الأرض، ترجمة السيدة منور تقديم (ك. شولي) ، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة 1990 ص ص 174-175.
19. المجاهد: المصدر نفسه، العدد 97 (08 أوت 1960)، ص 12.
20. المصدر نفسه، العدد 108 (13 نوفمبر 1961)، ص 11.

21. المصدر نفسه، العدد 74 (08 أوت 1960)، ص2.
22. المصدر نفسه، العدد 78 (03 أكتوبر 1960)، ص2.
23. في 20 جوان 1960 تأسست فيدرالية مالي مشكلة من السنغال و مالي مع السيد سنغور و موديبو كاتيا وزيرا أولا . لم تدم هذه الكنفدرالية أكثر من شهرين بحيث انفصلت مالي (20أوت) عن السنغال.
24. ليجوم كولن: الجامعة الأفريقية دليل سياسي موجز، سلسلة دراسات أفريقية ، ترجمة: أحمد محمود سليمان ، ط9، الدار للتأليف و الترجمة ، 1966، ص232.
25. المجاهد: العدد 31، (01 نوفمبر 1958)، ص15.
26. المصدر نفسه، لعدد 72، (11 جويلية 1960) ص12.